

العقائد

ثالث ثانوي

طبعة ١٤٢٨ هـ



المحتويات

الدرس الأول: ما هي الإمامة؟. (١)

الإمام في اللغة: هو الذي يُقتَدى به ويتقدم الناس ويقودهم.

الإمام المعصوم: (عند الشيعة): يطلق على خليفة رسول الله ﷺ في كل شيء. وهو عبد اختاره الله من بين عبيده ليكون خليفة رسول الله ﷺ في كل مهامه الدينية.

الفرق بين الإمام والنبي

- أن النبي مؤسس الإسلام، والإمام حافظه وحاميه.
- أن الإمام يأخذ تعليماته من النبي ﷺ، والنبي يأخذ علمه من الله تعالى مباشرة عن طريق الوحي.

فلسفة وجود الإمام

إن الله سبحانه يفعل كل ما يجعل الإنسان يتوجه لعبادته، ومن ذلك إرساله للأنبياء ليهدوا الناس لعبادته سبحانه والعمل بأحكامه، وهذا ما يسمى بـ(اللطف). والإمام المعصوم الذي يعينه الله سبحانه هو من باب لطفه سبحانه بعِباده حيث عين لهم إمامًا معصومًا يرعى شؤونهم ومصالحهم.

ونحن -يا أعزائي- في هذا الدرس نبيِّن كيف يكون الإمام لطفًا، ويتضح ذلك من خلال عدة نقاط:

١. حفظ الدين من التحريف

إن الإمام هو الذي يحمي الدين، ويحافظ على بقاء المناهج الدينية خالصة نقية، ويمنع كل انحراف واعوجاج وفكر وافد غريب، ويحول دون دخول الخرافات والأساطير إلى الشريعة السماوية. ولو بقي الدين دون مثل هذا القائد فإنه ـ خلال مدة قصيرة ـ يفقد نقاءه وأصليته، ويبتعد الناس شيئًا فشيئًا عنه.



٢. الإمام هو من يقود الأمة

إن الله سبحانه حين عيَّن لنا شخصًا يقوم بحفظ الدين من التحريف، عينه لنا بحيث يكون هو الحاكم علينا، ليتمكن من إقامة الدولة الإسلامية التي تقيم حدود الله كما هي بدون تحريف أو تهاون في أدائها.

إن الله سبحانه بلطفه اختار قائدًا معصومًا يقوم بمهمة الإشراف على تحقيق أحكامه سبحانه بمعونة طاقات البشر الكامنة وأفكار العلماء، في الوقت الذي يقف بوجه الانحرافات بحزم.

٣. تكامل الإنسان يتم بمعونة القادة الإلهيين

كنتيجة للنقطتين السابقتين، نستطيع القول بأن المجتمع الإنساني إذا وجد فيه ذلك القائد المعيَّن من قبل الله سبحانه، الذي يحافظ على أحكام الدين من التزوير، ثم بعد ذلك يقيم هذه الأحكام بحذافيرها، فإن هذا المجتمع –في ظل هذا القائد– سوف يصل لما يريده الله سبحانه منه أن يصل إليه، وهو الكمال الإنساني من الجانب المعنوي.

ولتوضيح الفكرة، نقول:

إن وجود حاكم معصوم معين من قبل الله يحكم دولة مّا، أو مجتمعًا مّا، فإن هذا سبب لإشاعة الأجواء الإيمانية التي تساعد الفرد على أن يتوجه للأمور المعنوية المتصلة بالله أكثر من أي أمر آخر، وهذا التوجه هو الذي يساعد الفرد على تربية نفسه تربية صالحة. بعكس لو كانت الأجواء مملوءة بالفساد، فإن هذا الفرد حتى لو كان عنده شيء من هذا التوجه ، فإنه شيئًا فشيئًا –مع وجود هذه الأجواء الفاسدة– سيفقد هذا التوجه.

٤. ضرورة إتمام الحجة على المنحرفين

وذلك كي لا يعترض معترض منهم أنهم لو أخذ بيدهم مرشد إلهي ليقودهم

إلى طريق الرشاد، لما ساروا في طريق الانحراف.

فكّر وأجب

س١/ ما معنى الإمام لغة؟ وما معناه عند الشيعة؟

س٢/ ما الفرق بين الإمام والنبي؟

س٣/ بأية طريقة يكون حفاظ الإمام للشريعة؟

س٤/ ما هي فلسفة وجود الإمام؟

س٥/ كيف يصل الإنسان إلى التكامل المعنوي بوجود أو بمعونة الإمام؟

س٦/ كيف يقود الإمام الأمة؟

س٧/ ما هو المقصود بأن الإمام يتم الحجة؟

س٨/ اذكر أمثلة لانحرافات حصلت في عهد الإمام الصادق والإمام الحسن العسكري عليهما السلام، وكيف تصديا لها؟



الدرس الثاني: ماهي الإمامة؟. (٢)

شروط الإمام الخاصة وصفاته

الإمام ـ بمعناه العام ـ هو من له القيادة العامة في أمور الدين والدنيا، وهذا التعريف العام يشمل الأئمة والأنبياء القادة، ولذلك فإن منصب الإمام أرفع من منصب النبوة والرسالة، ولذلك فإن النبي محمد ﷺ ـ مثلاً ـ هو إمام بالإضافة لكونه نبيًا مرسلاً، وحيث إن المسؤولية التي يقوم بها الإمام كبيرة جدًّا .. لزم أن يكون الإمام متصفًا بصفات خاصة عالية تؤهله لهذا المقام العظيم، وأهم هذه الصفات الخاصة أو الشروط اللازم توفرها في الإمام هي:

١. العصمة من الخطأ والإثم

لا بدَّ للإمام أ ن يستحوذ على قلوب الناس وينال ثقتهم، فيأتمرون بأمره دون اعتراض. ومن كان ملوثًا بالإثم أو حتى الخطأ لا يمكن أبدا أن يبلغ هذا المبلغ في القلوب ولا يكون موضع ثقة الناس واطمئنانهم.

والإمام -بالإضافة لكونه قائدًا- يقوم بوظيفة تربية الناس على الالتزام بالدين أيضًا، ولا شك أن التربية الكاملة رهن عمل المربي وتصرفاته، فإنه لا يتوخى من شخص يقترف المعاصي أن يسلمه الناس زمام نفوسهم وينقادون لتعاليمه التربوية التي تدعوهم إلى ترك المعاصي وهجرانها.

٢. العلم الغزير بأمور الدين والحياة

الإمام كالنبي هو الملجأ العلمي للناس، فلا بد أن يكون عارفًا بجميع أصول الدين وفروعه، وبظاهر القرآن وباطنه، وبسنة رسول الله ﷺ، وبكل ماله علاقة بالإسلام معرفة تامة، وذلك لأنه حافظ الشريعة وحاميها، كما هو قائد الناس ومرشدهم، فيجب أن يكون أعلم الناس وأوعاهم لدين الله.

٣. الشجاعة

لا بد أن يكون الإمام أشجع الناس، حتى يمكنه مواجهة الحوادث الصعبة، والوقوف بوجه الأقوياء الغلاظ الظالمين، وصد الأعداء الداخليين والخارجيين.

٤. الزهد والتحرر

إن الإمام يجب أن يكون زاهدًا في مباهج الدنيا وزخرفها، متحررًا من أسر أهواء النفس وطلب السلطة والجاه، حتى لا يستطيع أحد إغراءه وحمله على الاستسلام والمساومة.

٥. الجاذبية الأخلاقية

إن الأخلاق العالية شرط واجب في الإمام حتى تنجذب إليه القلوب وتنساق إليه الأنفس بكل شوق وطواعية، إن الخشونة وسوء الخلق مما يثير النفور والتباعد، ولا يمكن للإمام عليه السلام إلا أن يكون خلاف ذلك.

فكّر وأجب

س١/ بين الفرق بين منزلة الإمامة والنبوة؟ وأيهما أفضل؟

ماذا يضر لو لم يكن الإمام معصومًا؟

علل:

١. الإمام لا بد أن يكون معصومًا.
٢. الإمام يجب أن تكون أخلاقه حسنة.
٣. يفترض بالإمام أن يكون شجاعًا وزاهدًا ومتحررًا.

الدرس الثالث: تعيين الإمام. (١)

يرى أهل السنة أن النبي ﷺ لم ينصب خليفة بعده، وترك اختيار الخليفة للمسلمين أنفسهم وأنهم اختاروا خليفتهم عن طريق إجماع المسلمين.

وهنا نضع بعض الأسئلة لنجيب عنها:

١ . هل للأمة أن تختار خليفة رسول الله ﷺ ؟

إذا كان المقصود بالإمامة هو مجرد الحكم الظاهر وتدبير أمور الناس فيكون الجواب حينئذ بنعم.

ولكن إذا كانت الإمامة بالمعنى المشروح سابقًا وبالشروط التي ذكرناها من العصمة والعلم الغزير والشجاعة والزهد والتحرر والجاذبية الأخلاقية، فإن العثور على إمام بهذه المواصفات صعب جدًّا على الناس.

لذلك فإن التعرف إلى إمام يحوي كل هذه الصفات لا يمكن أن يكون إلا من الله سبحانه وهو العالم بالخفايا وبما تنطوي عليه الأنفس، فكما أن النبي لا يمكن انتخابه واختيار الناس له، فكذلك الإمام لا يمكن لأحد أن يختاره إلا الله عز وجل.

٢ . هل يجب أن يعيِّن النبي أحدًا ليخلفه؟

نذكر نقاطًا ثلاثًا في معرض الإجابة:

١ - أن عمر النبي ﷺ وفترة دعوته التي استغرقت ثلاثًا وعشرين (٢٣) سنة لم تكن هذه الفترة كافية لتعريف الإسلام بجميع أبعاده، وبخاصّة أن هذه الفترة كانت مليئة بالحروب والمشاكل التي واجهت النبي ﷺ لتثبيت الدعوة، فلزم أن يوجد شخص بعد النبي لبيان وتحليل كثير من المسائل الغامضة.

٢ - أن حفظ مستقبل الأمة والحفاظ على دوام مدرسة الإسلام كان من

الأمور التي شغلت النبي، فلا بد أن يعيّن شخصًا يحفظ هذه المسيرة من بعده.

٣ – أن النبي كان كثيرًا ما يعطي بتعليماته الخاصة في أمور عادية في الحياة اليومية، فهل يمكن أن يغفل عن أمر مهم كقضية الإمامة والخلافة ولا يضع لها منهاجًا خاصًا، إذ معروف عنه ﷺ أنه ما كان يخرج من المدينة المنورة لغزوة أو غيرها إلا ويولي أحدًا مكانه. فهاهو مثلا يترك المدينة لأيام في ذهابه لغزوة تبوك، فيستخلف عليها واليًا من بعده، فكيف لا يستخلف أحدًا وهو يغادر الدنيا وإلى الأبد. إن الذين يدّعون أن النبي عهد بالأمر إلى الأمة، ليس عندهم دليل صريح عن النبي بذلك. بل كل المؤشرات تدل أنه نص على الإمام من بعده ولم يترك ذلك للأمة، وستوافيك الأدلة على ما نقول.

٣ . الإجماع والشورى

الاجماع معناه اتفاق المسلمين على شيء ما. والشورى معناها جمع الآراء وتفحصها ثم اتخاذ القرار.

هل حقًّا حدث الإجماع في انتخاب الخلفاء الذين تقدموا على الإمام علي عليه السلام؟ وهل حصلت شورة في انتخابهم؟

الجواب: لا، إن المسلمين خارج المدينة لم يحضروا (السقيفة) ليشتركوا في انتخاب الخليفة الأول، بل وحتى في المدينة لم يشارك في الانتخاب الكثيرون كالإمام علي عليه السلام وبني هاشم. وهذا كافٍ في عدم تحقق الإجماع، ولم يشاوروا كل المسلمين، بل لم يشاوروا إلا مجموعة قليلة جدًّا، وهذه المجموعة كانت أيضًا منقسمة الرأي لم تتفق على الخليفة الأول.

ثم إن الخليفة الثاني لم يأتِ بالإجماع والانتخاب أيضًا، بل جاء بتعيين من الخليفة الأول، فكيف استطاع الأول أن يهتدي للتعيين، الذي رآه أفضل ولم يهتدِ إليه الرسول الأعظم؟

ثم إن طريقة انتخاب الثالث جاءت عن طريق ستة عينهم الثاني انتخبه منهم ثلاثة، ولم يؤخذ برأي الآخرين.

ولم ينتخب بالإجماع المدّعى إلا الإمام علي عليه السلام.

الانتخاب والإجماع للإمام علي عليه السلام

ولو فرضنا أن الانتخاب والإجماع هو الأفضل ..

فإن الشروط الواجب توفرها في المنتخب: كأن يكون الأعلم والأتقى والأشجع والأزهد، لن نراها متوفرة إلا في الإمام علي عليه السلام، كما تشهد بذلك كتب السيرة، كما في شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي يرويها الفريقان: «**أقضاكم علي**»، فيكون بذلك هو الأليق لهذا المنصب الخطير.

وكما يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: «احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل دليل أنه أفضل الكل».

فكّر وأجب

س١/ لو اختارت الأمة قائدًا ثم اتضح أنه شخص سيئ ما هي العاقبة التي ستنتج عن ذلك ؟ وهل للأمة أن تختار خليفة لله ورسوله؟

س٢/ بيّن في ٣ نقاط أنه لا يمكن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ترك الأمة بدون أن يعيّن لها خليفة؟

س٣/ تكلم باختصار عن تحقق الإجماع والشورى في انتخاب الخلفاء الثلاثة الأوائل؟

س٤/ لماذا يعدُّ الإمام علي عليه السلام الأفضل والأليق بالخلافة؟

الدرس الرابع: تعيين الإمام. (٢)

أدلة الإمامة في القرآن

هناك أدلة كثيرة على الإمامة في القرآن، نذكر منها:

١) آية إطاعة أولي الأمر

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ (النساء: ٥٩).

نلاحظ هنا أن إطاعة (أولي الأمر) قد جاءت إلى جانب إطاعة الله ورسوله دون أي قيد أو شرط.

فمن هم أولي الأمر؟

الأحاديث الكثيرة التي تفسر (أولي الأمر) كلها تصب في إثبات إمامة علي عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام، ولا يمكن بحال أن يكون (أولي الأمر)، الحكام الظلمة المنحرفين عن جادة الشريعة.

وليس المقصود بذلك الصحابة، لأن الآية تأمرنا بطاعة (أولي الأمر) وبشكل مطلق، وفي كل زمان ومكان، والصحابة زمانهم محدود بمدة زمنية معينة، فلا يمكن بحال أن تكون الآية تقصدهم أو تشير إليهم.

كما أن الجميع يعترف أن الصحابة ليسوا معصومين، فيمكن صدور الخطأ منهم، فكيف تجب طاعتهم المطلقة.

٢) آية الولاية

﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ (المائدة: ٥٥).

استعمال (**إنما**) التي تدل على الحصر، تحصر ولاية المسلمين التي يذكرها القرآن في ثلاثة، وهم: (**الله**) و (**الرسول**) و (**الذين آمنوا الذين يعطون الزكاة**

أثناء ركوعهم)، ومن هذا الترتيب نعلم أن الولاية لا تعني: (المحبة) وإنما تعني: (القيادة والأمانة المادية والمعنوية)، وأوصاف (الذين آمنوا) الواردة في الآية تدل على أن المقصود به شخص معين هم: الذين يؤتون الزكاة حال ركوعهم.

من هو الذي تنطبق عليه هذه الأوصاف؟ الآية تشير إلى الإمام علي عليه السلام وقصة تصدقه بالخاتم للفقير في المسجد أثناء ركوعه. وقد أشار إلى هذه القصة كُتَّاب السير من أبناء السنة والشيعة.

**** **** ****

٣) آية التبليغ

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ (المائدة: ٦٧).

تدل لهجة هذه الآية على أن الكلام يدور حول مهمة خطيرة موضوعة على عاتق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنها مهمة تثير ما يقلق البال، وهي لا تقل وزنًا عن أداء الرسالة برمتها. بحيث أنه لو لم يؤد تلك المهمة لكان كأنه لم يؤد الرسالة نفسها.

وقد تواجه هذه المهمة معارضة الناس، ولذلك تُطَمْئِن الآية خاطر الرسول بقولها: ﴿**وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾، مع التوكيد على ضرورة أداء المهمة، لا شك أن هذه المسألة لم تكن تتعلق بقضايا التوحيد والشرك ومحاربة الأعداء من اليهود والمنافقين وغير ذلك، لأن هذه المسائل كانت قد حلت قبل نزول الآية، وهي بالتأكيد أيضًا لم تكن تتعلق ببيان بعض الأحكام الشرعية كما يدعي البعض، لأن ذلك لا يناسب التشديد والاهتمام والتطمين الذي أشرنا إليه في الآية.

وبعد كل هذا، هل يمكن لتلك المهمة إلا أن تكون لمسألة عظيمة الأهمية، وليس كذلك إلا مسألة تعيين خليفة بعد الرسول؟ خاصة والآية نزلت في آخر حياة رسول الله، فهذا هو الوقت المناسب لتعيين الخليفة وللاطمئنان على

مستقبل الرسالة.

ثم إذا أضفنا إلى ذلك الروايات الكثيرة المأثورة عن طريق النبي التي تؤكد على نزول الآية بحق علي عليه السلام في يوم الغدير، وممن روى ذلك (زيد بن أرقم) و(أبو سعيد الخدري) و(ابن عباس) و(جابر بن عبد الله الأنصاري) و(أبو هريرة) و(حذيفة) و(ابن مسعود).

فهذه الآية عن أمر الله للنبي أثناء عودته من حجة الوداع (أي آخر عمره الشريف) يعلمه عن تنصيب علي عليه السلام خليفة له من بعده، وبصورة رسمية، وعلى ملأ من المسلمين.

٢) آية الابتلاء (للقراءة)

القرآن يرى أن الإمامة اختيار إلهي:

﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة: ١٢٤).

إن اختيار إبراهيم لمنصب الإمامة -الذي هو أرفع من منصب النبوة- جاء من الله فقال: ﴿**إني جاعلك...**﴾.

كما أخبره بأن هذا المنصب لا يصل إليه الظَّلَمَة من ذريته، والظلم في لغة القرآن يشمل معاني كثيرة: بما فيها اقتراف الذنوب كالشرك الظاهر والخفي، وكل ظلم للنفس وللآخرين، وحيث إنه لا يعرف بهذه الذنوب في الواقع إلا الله الذي يعلم بواطن الناس، فإنه يبدو واضحًا أن تعيين شخص لمقام الإمامة لا يكون إلا بأمر الله جل وعلا وجَعْلِه. وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة نفسها إذ تقول: ﴿**لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة: ١٢٤) أي إن عهد الله ـ وهو الإمامة ـ لا يمكن أن يصير إلى الظالمين.



فكّر وأجب

س١/ الإمامة أمر إلهي وليس راجعًا إلى البشر ، اذكر الدليل على ذلك من القرآن.

س٢/ كيف تدل آية التبليغ على أن الأمر المراد تبليغه هو أمر الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟

س٣/ من هم أولي الأمر؟ ومن أيّ آية تستفيد ذلك؟

س٤/ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ كيف تدل هذه الآية على ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام؟

س٥/ من الأدلة على الإمام في القرآن الكريم (آية الابتلاء)، اذكرها مع الشرح؟

الدرس الخامس: تعيين الإمام. (٣)

الإمامة في الحديث. (١)

الآن نتطرق لما جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله في الإمامة.

جاء في مصادر إخواننا أهل السنة عدد كبير من الأحاديث تثبت إمامة أمير المؤمنين عليه السلام .. بحيث إنك تعجب من كثرة هذه الأحاديث، وكيف أن البعض اختاروا طريقا غير أهل البيت بعد ذلك.

ولمزيد من الإطلاع على هذه الأحاديث ومصادرها بإمكانك مراجعة كتاب (المراجعات)[1] وكتاب (الغدير)[2].

و فيما يلي سنتعرض لنماذج من الأحاديث المعروفة من بين الوافر الكثير منها.

أ- حديث الغدير[3]

يقول الكثير من المؤرخين أن رسول الله صلى الله عليه وآله أدى فريضة الحج في آخر سنة من سنوات عمره الشريف، وبعد الانتهاء من الحج رجع معه جماعات كثيرة من

---

(١) للسيد عبد الحسين شرف الدين.

(٢) للعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني.

(٣) انظر: الصواعق لابن حجر في الشبهة الحادية عشرة ص ٢٥، والحاكم في المستدرك ج٣ ص ١٠٩، وكنز العمال ج٦ ص ٣٩، ٣٩٧، ٤٠٣، وص٤٠٧، ومسند أحمد ج١ في مسند علي ص ١١٩، وج٤ منه ص ٣٧٠، ٣٧٢، ٢٨١، وخصائص النسائي ص ١٥ و١٨، والمواقف وشرحها، وشرح التجريد للقوشجي، والسيرة الحلبية ج٣ ص ٣٠٢، والدر المنثور للسيوطي ج٢ ص ٢٥٩، ونور الأبصار ص ٦٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥، والعقد الفريد ج٢ ص ١٩٤، والاستيعاب ج٢ ص ٤٧٣ بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام، وانظر المحاضرات للراغب ج٢ ص ٢١٣ (حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد عبد الله شبر ص ٢٠٣).

المسلمين، وحين وصلوا إلى (غدير خم). أمر الرسول الناس بالتوقف ودعا الذين سبقوه إلى الرجوع، وانتظر حتى لحق به الذين كانوا خلفه ... كان الجو حارًا جدًا ومحرقًا، ولم يكن في تلك الصحراء المترامية ما يستظل به. أدى المسلمون صلاة الظهر مع رسول الله ﷺ، ثم قام عليهم خطيبًا، وكان من جملة ما قال ـ بعد أن انحنى وأمسك بيدي علي عليه السلام ورفعها حتى بان بياض إبطيهما:

«أيها الناس، من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم».

فقالوا: الله ورسوله أعلم ..

فقال: **«إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه»**.

وكرر هذا القول ثلاثًا، وقال بعض الرواة أيضًا...

ثم رفع رأسه الشريف إلى السماء وقال:

«اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، و أنصر من نصره، و اخذل من خذله، و أدر الحق معه حيث دار».

وقد أقبل الناس يتزاحمون لتهنئة علي عليه السلام بالولاية ..

وكان منهم أبو بكر وعمر، اللذان قدما على علي عليه السلام يقول كل منهما له:

بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وقد ذكر العلاَمة (الأميني) في (الغدير) مائة وعشرة من أصحاب رسول الله ﷺ ذكروا هذا الحديث، و(٣٦٠) كتابًا ورد فيه هذا الحديث.

ومنها كتب الأخوة أهل السنة في التفسير والتاريخ والحديث. و (٢٦) عالمًا من علماء الإسلام ممن ألّفوا الكتب الخاصة بحديث الغدير.

معنى المولى

إن كلمة (مولى) تعني: (الإمامة والولاية) ولا تعني: (الصَّديق أو الناصر أو المحب) أو غيرها من المعاني الأخرى لكلمة (مولى) بدليل:

١ - أنه قبل هذه الحادثة نزلت (آية التبليغ): ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾، وبلهجتها الحادة، تدل على أن الكلام لم يكن بشأن الصداقة العادية، وإلا لما استوجب ذلك كل هذه الأهمية والتوكيد.

٢ - ظروف الحديث والصحراء المحرقة التي ألقيت فيها تلك الخطبة، وأَخْذُ الإقرار من الناس في ذلك الجو وذلك المكان، كلها تدل على صحة ما نذهب إليه.

٣ - التهاني والتبريكات التي قدمت لعلي من جانب مختلف طبقات الحاضرين، والقصائد الشعرية التي قيلت بالمناسبة(١)، في ذلك اليوم وبعده، تدل على أن الحدث واقعي، وأنه يخص تنصيب الإمام علي عليه السلام في مقام الولاية والإمامة ولا شيء غير ذلك.

فكّر وأجب

س١/ اذكر حديثاً يرويه السنة والشيعة يدل على إمامة أمير المؤمنين.

س٢/ ما معنى كلمة (مولى) المذكورة في حديث الغدير؟ وما هو الدليل على هذا المعنى ؟

(١) مثل قصيدة حسان بن ثابت التي ألقاها بالمناسبة ومطلعها:

يناديهم يوم الغدير نبيهم وأكرم بالنبي مناديا.



الدرس السادس: تعيين الإمام. (٤)

الإمامة في الحديث. (٢)

ب - حديث المنزلة[1]

كان ذلك عندما تحرك النبي ﷺ قاصدًا تبوك لقتال إمبراطور الروم، وترك عليًّا عليه السلام مكانه بالمدينة، فقال علي عليه السلام:

«أتتركني بين النساء والأطفال ولا تسمح لي بالاشتراك في الجهاد معك؟»

فقال ﷺ:

«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي؟»

وقد ذكر هذا الحديث كثير من كتب السنة، وعلى رأسها صحيح البخاري ومسلم، بل رواه ما يزيد على (٢٠) صحابي، منهم: (جابر بن عبد الله الأنصاري) و(وابن مسعود) و(معاوية) و(أبو سعيد الخدري).

ومما يدل على أن الرسول ﷺ لم يقل هذا الكلام بمناسبة غزوة تبوك فقط، أنه كرره سبع مرات في سبع مناسبات مختلفة.

---

(١) انظر صحيح البخاري ج٢ ص ١٨٥ في مناقب علي (ع)، وج٣ منه ص ٥٤ في باب غزوة تبوك من كتاب المغازي، وصحيح مسلم ج٢ ص ٢٣٦ و٢٣٧، ومسند أحمد في وجه تسمية الحسنين بالحسنين ج١ ص ٩٨ و ١١٨ و١١٩، والصواعق لابن حجر ص ٣٠ و٧٤، ونور الأبصار للشبلنجي ص ٦٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥، والعقد الفريد ج٢ ص ١٩٤، وخصائص النسائي ص ٧ و٢٣، والاستيعاب بترجمة علي (ع) ج٢ ص ٤٧٣، وكنز العمال ج٦ ص ١٥٢ و١٥٣. (حق اليقين في معرفة أصول الدين – ص ٢٠٦).

ما يستفاد من حديث (المنزلة)؟

أن جميع المناصب التي كانت لهارون في بني إسرائيل من جانب موسى عليه السلام، باستثناء النبوة، كانت لعلي عليه السلام مثلها.

وعليه يمكن أن نستنتج الآتي:

١ - كان علي عليه السلام الأفضل في الأمة بعد الرسول الله صلى الله عليه وآله كما كان هارون في بني إسرائيل.

٢ - كان علي عليه السلام وزير رسول الله صلى الله عليه وآله ومعاونه الخاص، وشريكه في قيادة الأمة، إذ إن القرآن أثبت هذه المناصب لهارون، (طه: ٢٩-٣٢).

٣ - كان علي عليه السلام وزير رسول الله صلى الله عليه وآله حتى في حياته ولم يكن أي شخص آخر قادرا على القيام بتلك المهمة، وهكذا كان مقام هارون بالنسبة لموسى عليه السلام.

ج - حديث الثقلين[1]

أصل الحديث كما يرويه أبو ذر الغفاري كما يلي:

(لما رجع النبي من حجة الوداع قال على المنبر: «**يا أيها الناس إني مسؤول وإنكم مسؤولون .. إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي .. وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**».

وقد ورد في بعض الروايات: «**إني تارك فيكم الخليفتين**»، وهو من الأحاديث المشهورة بين السنة والشيعة.

(١) مسند أحمد ج٣ ص١٧ و٥٩ وج٤ منه ص٣٦٧ وج٥ منه ص١٨٢و ١٨٩، وصحيح مسلم في فضائل علي عليه السلام ج٢ ص٢٣٨، والصواعق لابن حجر ص٩١ في الآية الرابعة من الآيات الواردة في أهل البيت عليهم السلام ، والحاكم في المستدرك ج٣ ص١٠٩، وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار للشبلنجي ص٨٥،٨٦،وتفسير الفخر سورة آل عمران ج٣ ص٢٤.(حق اليقين في معرفة أصول الدين، ص ٢٠٨)



نقل بعض العلماء أن رواته من الصحابة يصل إلى (٣٠) راويًا.

وقال (السيد هاشم البحراني) العالم الكبير: أن سنده من أهل السنة يصل إلى (٣٩) ومن الشيعة إلى (٨٠).

وأما العالم الهندي الكبير (مير حامد حسين) فقد جمع حول هذا الحديث (٦) مجلدات ضخام ووجد أن (٢٠٠) عالم من علماء أهل السنة ينقلون هذا الحديث.

وقد كرره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مواضع شتى من بينها يوم عرفة من أيام الحج، وفي غدير خم.

ما يستفاد من الحديث؟

١ - الإشارة إلى أن القرآن والعترة كثقلين أو كخليفتين تدل على أن المسلمين إذا أرادوا الأمن من الضلال فعليهم التمسك بهما كما يشير الحديث.

٢ - اقتران القرآن بالعترة يدل على أن العترة لا تصاب بالانحراف كما إن القرآن لا يصاب بالتحريف، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا دليل على عصمتهم.

٣ - كما في الروايات أيضا .. فإن الحساب يوم القيامة يكون على قدر التمسك بالثقلين ولأن الحديث يقول: «**لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما**» في بعض رواياته المشهورة.

٤ - أن عليًّا عليه السلام هو من أهل البيت بل هو أبرز الأمثلة على أهل البيت ... وفي بعض الروايات أنه لم يفترق عن القرآن ولا القرآن افترق عنه.

ويتضح من هذا أنه مرجع الأمة وقائدها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو علي عليه السلام .. والأئمة من بعده من أهل هذا البيت.

وقد دلت على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام أحاديث كثيرة أخرى، مثل حديث الدار وحديث سفينة نوح عليه السلام، ويمكن الرجوع لكتب العقائد التي تتحدث

عن الإمام من أجل الاستفادة.

الأئمة الاثنا عشر

بعد إثبات الإمامة والخلافة المباشرة للإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، يأتي دور الكلام على إمامة سائر الأئمة وحديث الثقلين يشهد بإمامتهم، وبالإضافة إلى ذلك وردت عدة روايات ذكرت في كتب السنة والشيعة تشير إلى أن عدد الأئمة اثنا عشر، وقد ذكر صاحب (منتخب الأثر) (٢٧١) حديثاً بهذا الشأن.

ومن ذلك ما نقله (البخاري) في صحيحه - وهو أشهر كتب أهل السنة - عن جابر بن سمرة، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**يكون اثنا عشر أميرًا**» ثم قال كلمة لم أسمعها .. فقال: إنه قال: «**كلهم من قريش**».

ما يستفاد من روايات الاثني عشر؟

هذه الأحاديث التي يرى بعضها أن عزة الإسلام منوطة (بالاثنى عشر خليفة) ويرى بعضها الآخر أن حياة الدين وبقاءه إلى يوم القيامة موكولان بهم، وأنهم كلهم من قريش.

وفي بعضها كلهم من بني هاشم، لا تنطبق على أي مذهب سوى المذهب الشيعي ، وذلك لأن توجيهها بسيط وواضح بحسب معتقدات أهل التشيع، وفي الوقت الذي يصل فيه علماء أهل السنة إلى طريق مسدود عند محاولة تفسيرها.

هل المقصود هم الخلفاء الأربعة الأول، إضافة إلى خلفاء بني أمية وبني العباس؟

نحن نعلم بالطبع، أنه لا الخلفاء الأول كانوا اثني عشر، ولا بانضمام خلفاء بني أمية وبني العباس إليهم بلغوا هذا العدد.

إن العدد اثني عشر لا ينطبق على أي منهم.

ثم إن من بني أمية خلفاء مثل (يزيد) ومن بني العباس مثل (المنصور الدوانيقي) و(هارون الرشيد)، ممن لا يشك أحد فيما ارتكبوه من جرائم وظلم وطغيان .. فلا يمكن اعتبارهم بأي حال من الأحوال خلفاء النبي ﷺ ودعاة لعزة الإسلام ورفعته مهما تساهلنا في تبسيط الموازين.

وإذا تجاوزنا عن كل ذلك، فإننا لن نجد العدد اثني عشر يتمثل في أي مجموعة منهم سوى في أئمة الشيعة الاثني عشر.

تعيين الأئمة بالاسم

مما يلفت النظر أن بعض الروايات المروية عن رسول الله ﷺ التي وصلتنا من علماء أهل السنة، تذكر الأئمة الاثني عشر بالاسم الصريح وتبين صفاتهم وفضائلهم.

يقول الشيخ سليمان القندوزي ، العالم السني المعروف في كتابه (ينابيع المودة:ص٤٤١):

جاء يهودي يدعى نعثل إلى رسول الله ﷺ، فكان من بين الأسئلة التي ألقاها عليه أنه سأله عن أوصيائه وخلفائه من بعده، فقال رسول الله ﷺ: «**إن وصيي علي بن أبي طالب .. وبعده سبطاي الحسن والحسين يتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين**». **قال يا محمد فسمّهم لي، قال** ﷺ: «**إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر ، فإذا مضى جعفر فابنه موسى ، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر**».

أما الأحاديث الواردة بهذا الخصوص عن طريق الشيعة فكثيرة تفوق حد

التواتر.

د - حديث سفينة نوح[1] (للقراءة فقط)

يقول أبو ذر: قال رسو ل الله ﷺ:

«ألا إن مَثَل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، مَنْ ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

هذا الحديث من الأحاديث المشهورة التي توجب على الناس اتباع علي عليه السلام وأهل بيت رسول الله ﷺ بعده.

فإذا عرفنا أن سفينة نوح كانت ملجأ ووسيلة النجاة من ذلك الطوفان الذي شمل العالم، علمنا أنه إذا هَبّ الطوفان بعد رسول الله ﷺ فما على الأمة إلا أن تتمسك بأذيال الولاء لأهل البيت إذ لا سبيل لها إلى النجاة بغيرهم.

ه - حديث يوم الدار[2]: (للقراءة فقط)

جاء في كتب التاريخ الإسلامي أن رسول الله ﷺ قد أمر بإعلان الدعوة في السنة الثالثة من البعثة. كما جاء في الآية: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ (الشعراء: ٢١٤).

فدعا الرسول ﷺ أقرباءه إلى بيت عمه أبي طالب. وبعد تناول الطعام قال:

---

(١) كنز العمال١: ٢٥ والصواعق المحرقة لابن حجر:٧٥. ومستدرك الحاكم ٣: ٣٤٢ وينابيع المودة: ٢٥٧ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي:١٠ وإسعاف الراغبين:١١ ونور الأبصار:١١٤.(ص٥٠ من كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد لأبي المعالي الجويني).

(٢) مسند أحمد ج١ ص١١١، وكنز العمال ج٦ ص٣٩٧، تاريخ الطبري ج٢ ص٢١٧ ، كامل ابن الأثير ج٢ ص٢٤، شح النهج ج٣ ص٢٦٣.(حق اليقين في معرفة أصول الدين، السيد عبد الله شبر ص٢٠٥).

«**يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله عز وجل والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا**»، ثم قال:

«**من يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني**»، فسكت القوم، وأعادها ثلاثا.

كل ذلك ويسكت القوم، ويقول علي: «**أنا**»، فقال في المرة الثالثة: «**أنت**»، فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: «أطع ابنك فقد أُمِّر عليك».

هذا الحديث يعرف بحديث (الدار)، وهو واضح الدلالة بما يكفي على ولاية علي عليه السلام وخلافته. وقد نقله كثيرون من علماء أهل السنة.

و لمزيد من الاطلاع راجع:

١ - (المراجعات) ص ١٣٠ وما بعدها.

٢ - (إحقاق الحق) ج ٤ ص ٦٢ وما بعدها.

فكّر وأجب

س١/ اذكر فائدتين من حديث الثقلين؟

س٢/ ماذا يستفاد من حديث المنزلة؟

س٣/ أكمل الفراغ:

١. «من مات ولم يعرف إمام زمانه .... ».

٢. إن النبي ﷺ عين الائمة الاثنا عشر بـ...................

٣. الخلفاء الأول كانوا .... خليفة ولم يبلغ خلفاء بني ....

٤. وخلفاء بني ....اثني عشر وكان منهم خلفاء مثل .... و............ لا يشك أحد بارتكابهم الظلم والطغيان فلا يمكن اعتبارهم ....

س٤/ ماذا يستفاد من حديث: «كون اثنا عشر أميرًا كلهم من قريش»؟

س٥/ هل عيَّن النبي ﷺ الأئمة الاثنا عشر بالأسماء؟

س٦/ في كتب أهل السنة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من مات بغير إمامٍ مات ميتة جاهلية»، وورد هذا الحديث في كتب الشيعة بهذه الصورة: «من مات ولا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية». هل يمكنك أن تذكر بعض مصادر الحديث؟ وكيف يمكن الاستدلال به في الإمامة؟

المصادر

١. هذا البحث مقتبس من بحث الإمامة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي (سلسلة أصول الدين).

٢. ومن المصادر: كتاب حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد عبد الله شبر.